

معارك ساحل البصرة في الحرب العالمية الاولى 1914

ا.م .د. جعفر عبد الدائم بنيان المنصور

كلية التربية للعلوم الانسانية -جامعة البصرة

قسم التاريخ

المخلص :

بعد مرور اكثر من مائة سنة على الاحتلال البريطاني للعراق . ورغم الدراسات التي تعرضت لتلك الاحداث ، الا انها لم تركز على معارك ساحل البصرة التي تعد اول اصطدام بين القوات العثمانية والبريطانية .أذ مرت بها بعجالة ، علما ان القوات المحتلة قطعت مسافة اكثر من مائة كيلو متر ، وحدثت اربع معارك هامة، واتخذت القوات المحتلة اكثر من مسار لها في تقدمها.وانصب الاهتمام على معركة الشعبية .

ان الهدف من دراستنا بيان الجوانب الاستراتيجية لتك المعارك المهمة ، والتي كانت غائبة عن السلطات العثمانية ، اذا لم تعيرها الاهتمام المطلوب في حينها ، وبالتالي هي البوابة لسقوط البصرة وباقي المدن العراقية حتى الموصل .

Summary:

Basra coast battles in World War 1914

After more than a hundred years have passed since the British occupation of Iraq. Despite the studies that were subjected to these latest, they did not focus on the battles of the Basra coast, which are

considered or collisions between the Ottoman and British forces. Meters, and four important battles occurred, and the occupying forces took more than one path in their progress. The focus was on the Battle of Al-Shuaiba

The aim of our study is to thoroughly touch between the strategic aspects of these important battles, which were absent from the Ottoman authorities, if they did not give them the required attention at the time, and thus are the gateway to the fall of Basra and the rest of the Iraqi cities to Mosul

المقدمة :

يرجع تاريخ المصالح البريطانية في العراق عموماً، وفي البصرة بوجه خاص الى النصف الاول من القرن التاسع عشر .كون العراق يشكل اقصر طريق بين اوربا وجنوب شرق اسيا ، كما يوصل بين البحر المتوسط والخليج العربي والمحيط الهندي ، كذلك كان للعراق دور مهم في طريق القوافل التجارية الاقليمية والدولية ، التي تمر فية ، كطريق الحرير ، الطرق القادمة من الهند،وبلاد فارس وقفقاسيا الى سواحل البحر المتوسط . وفقاً لما تقدم تولدت لدى البريطانية فكرة الاحتلال العسكري للعراق قبل سنوات من قيام الحرب العالمية الأولى .

لقد تم تقسيم البحث الى مبحثين رئيسيين الأول تطرق الى الأوضاع السياسية التي مهدت لدخول القوات البريطانية الى العراق . اما المبحث الثاني فقد درس اهم المعارك الأولى التي حدثت بين القوات البريطانية والقوات العثمانية ومن كان بمعيتهم من المتطوعين العراقيين ، قبل وصل القوات المحتلة الى مركز ولاية البصرة والتي تمثلت بمعركة احتلال الفاو والتقدم الى السببة وبعد ذلك معركة سيحان ثم اخر المعارك كانت معركة كوت الزين التي فتحت الطريق لتقدم القوات البريطانية لحتلال البصرة .

ان تلك المعرك التي استمت قرابة الأسبوعين كشفت الكثير من الحقائق عن وضع القوات العثمانية في البصرة مقارنة مع القوات البريطانية المحتلة كذلك أوضحت بمل لا يقبل الشك موقف العراقيين من تغل القوات المحتلة الى مناطقهم .والتي اطلقنا عليهم معرك ساحل البصرة كونها حدثت في مناطق ساحلية امتدت من الفاو صعودا الى البصرة .

المبحث الأول

الأوضاع السياسية التي مهدت للاحتلال العراق

ارسلت بريطانيا بعثة لدراسة صلاحية انهر العراق للملاحة سنة 1834، وكانت نتائج البعثة ان اثبتت صلاحية نهر دجلة لملاحة السفن التجارية ، والقوارب التي يبلغ غاطسها من متر الى متر وربع ويكون عمق مجرى النهر (5,75)م، وعرض النهر من 200-300م .⁽¹⁾

حسب تلك الدراسة وغيرها تولدت لدى البريطانيين فكرة الاحتلال العسكري للعراق والبصرة قبل سنوات من نشوب الحرب العالمية الاولى . ففي العقبة بين بريطانيا والدولة العثمانية سنة 1906 . طرقت فكرة احتلال البصرة للضغط على الدولة العثمانية ، ولكن مجلس الدفاع الامبراطوري لم يقر الفكرة . ثم عادت حكومة الهند بطرح الفكرة مرة اخرى سنة 1912 .وعندما اخذ الوضع في اوربا يتجة الى التأزم في نيسان 1914 تجدد الحديث عن الفكرة واخذت الجهات المختصة دراستها.⁽²⁾

وفي بداية بحثنا لابد من القول ان السياسة البريطانية في الشرق الاوسط تقوم على مركزين رئيسين احدهما في الهند والآخر في مصر .وقد اصطلح على الاول بالمدرسة البريطانية الهندية او(المدرسة العربية الشرقية) .وعلى الثاني المدرسة البريطانية -المصرية او(المدرسة العربية الغربية) .فأصحاب المدرسة الاولى يعتقدون ان التوغل البريطاني في البلاد العربية يجب ان يبدأ من عدن والخليج العربي ، وينتهي في بغداد . اما اصحاب المدرسة الثانية فأنهم يرون من

الاجدى ان تسيطر بريطانيا على مصر ، وتستولي على سوريا فتحمل عرب الشام على مقاومة النفوذ الفرنسي من التوسع في الشرق الادنى وبذلك تحمي الطريق بين الهند والجزر البريطانية ، وتستحوذ على المدن الاسلامية المقدسة (مكة والمدينة و القدس) فتجعل العرب يدينون لها بالولاء .⁽³⁾ اخذت بريطانيا تدرس مشروع كلا المدرستين ومدى ملاءمته لصالحها ،وامكانية تطبيقه على ارض الواقع .وفي خضم تلك الظروف بدأت الحرب العالمية الاولى في 25تموز 1914 ، بعد اغتيال ولي عهد النمسا فوانز فردينايد (Franz Ferdinand) في 28 حزيران 1914.⁽⁴⁾

ولم تدخل الدولة لعثمانية الحرب منذ بدايتها الا ان هناك عوامل مباشرة وغير مباشرة دفعتها الى دخول الحرب ومن تلك العوامل غير المباشرة هي :

- 1-المصالح الالمانية في الدولة العثمانية والمتمثلة بالقروض المالية وسكك الحديد التي يتولى الالمان تنفيذها ،وتدريب الجيش العثماني من خلال الخبراء الالمان وتسليحة .
- 2- الاطماع الفرنسية والبريطانية بتقويض الدولة العثمانية وضرب الشعوب الاسلامية التابعة لها ومحاولة السيطرة عليها .
- 3- التوتر بالعلاقات العثمانية الروسية بسبب الحرب الطراباسية والحرب البلقانية .⁽⁵⁾
- 4- اغلاق المضائق التركية ومنع الاتصال بين روسيا وحليفتيها فرنسا وبريطانيا
- 5- اعلان الجهاد المقدس وجر المسلمين من اسيا الى اعلان الثورة على بريطانيا وفرنسا وارباك قواتها

6- احتلال القفقاس ودفع روسيا الى توزيع قواتها على جبهات عدة . مما يخفف الضغط على المانيا .(6)

وكان السبب المباشر لدخول الدولة العثمانية الحرب هو وصول سفينتين حربيتين الى المضائق العثمانية في 11 اب 1914 مطاردة من الاسطول البريطاني اعطيتا حق دخول المضيق والرسو في الموانئ العثمانية .بينما اغلقت هذه المضائق بوجه الاسطول البريطاني في البحر المتوسط وبوجه الاسطول الروسي في البحر الاسود .وكان حجة استانبول ان تلك السفن اصبحت ضمن الاسطول العثماني .ولكن سرعان ما ضربت فجأة قطع الاسطول العثماني مع السفينتين الالمانية مينائي اوديسا وسباستوبول الروسيين .(7) في البحر الاسود بتاريخ 29 تشرين الاول 1914. وهكذا دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى بشكل فعلي ، ثم جاء اعلانها للحرب بشكل رسمي في الاول من تشرين الثاني في السنة نفسها .فما كان من روسيا الا ان اعلنت الحرب عليها في 4 تشرين الثاني ثم لحقت بها بريطانيا وفرنسا في اليوم التالي ، اي في الخامس من تشرين الثاني 1914 .(8)

ومهما يكن من الامر فأن تورط الدولة العثمانية في الحرب جعل خصومها يعيدون النظر في تقسيم مناطق النفوذ من خلال الاجهاز على الدولة واقتسام مستعمراتها .وكان العراق احد المسارح المهمة للحرب العالمية الاولى ،كونه جزء من الدولة العثمانية .اذ وقعت على ارضة العديد من المعارك الدامية بين القوات العثمانية والبريطانية.شارك العراقيون فيها (9) تلك الحرب التي كانت سببا في سقوط ملايين الضحايا وتدمير هائل لمعالم الحضارة البشرية وخسائر مادية كبيرة ،فضلا عن اتساع البطالة وتفاقم مظاهر الجوع والحرمان وانتشار الامراض والابوة ناهيك عن اغناء كبار الرسماليين وتجار السلاح في العالم .

وتأسيسا على ما سبق اذ انتصر الحلفاء في الحرب فسيكون مصير الدولة العثمانية التقسيم . بينما سيكون الحال عكس ذلك تماما اذا ما انتصرت المانيا .ولهذا حزمت امرها وارتمت في اتون الحرب الى جانب المانيا مطلع تشرين الثاني 1914.

المبحث الثاني

اهم المعارك الحربية

اولا - معركة الفاو :

تقع بلدة الفاو في اقصى جنوب البصرة ، وتبعد (105) كم عن مركز مدينة البصرة . وجاءت تسميتها مختصر للارض الواقعة على الماء (FWO).ومن الجدير بالملاحظة ان بريطانيا قد سبقت تأريخ دخول الدولة العثمانية للحرب اذا انها بدأت استعداداتها لاحتلال الفاو منذ 18 تشرين الاول 1914 ، اذ وصلت قوة اطلق عليها قوة حماية بلاد وادي الرافدين من الهند الى البحرين .⁽¹⁰⁾ ويبدو ان الرسالة التحذرية التي استعملتها السفينة البريطانية (اسبيجل Espiwgle) من العثمانيين بضرورة مغادرة شط العرب في الاسبوع الاول من تشرين الثاني 1914 ، هي اشارة ببداية الحرب .اذ اعقتها في الاسبوع الثاني قيام العثمانيين ببناء تحصينات وتعزيز موانعهم على ضفة شط العرب .

مما لاشك فيه ان بريطانيا كانت لها مجموعة مصالح تريد المحافظة عليها في حوض شط العرب والخليج ، في مقدمتها ، رغبة بريطانيا في حماية مصفى النفط في عبادان والمحمرة من تخريب العثمانيين لها في حالة دخولهم الحرب ضد بريطانيا وبذلك سيحرم الاسطول البريطاني من اهم مورد للوقود .كذلك الخوف من اعتداء الحكومة العثمانية على الرعايا البريطانيين والهنود المقيمين في البصرة ،والغائها القنصلية والامتيازات الاجنبية .فضلا عن انقاذ شيخ الكويت

والمحمرة اللذين يؤلفان جناحي للمؤسسة النفطية من تعديت العثمانيين عليها ، واغراقهم بالوقوف الى جانبها .وغير ذلك الاطماع البريطانية العديدة في لعراق.(11)

وبناءً على ماتقدم قررت حكومة الهند في 3 تشرين الاول 1914 اسناد قيادة الحملة الى العميد (ديلامين W. Delamin) وان تضم القوة اللواء السادس عشر والبطاريتين الجبليتين الثالثة والعشورين والثلاثون ، وفي الوقت نفسة بدأ العثمانيون محاولة غلق شط العرب بأغراق السفينة الالمانية (اكبتانا Ekbatana) فيه ونصبت اربعة مدافع عند جزيرة الشمشومية في الشط ،وعززت الحامية العثمانية بالفني جندي والغاء القبض على بعض المتعاونين مع بريطانيا ،مثل مترجم القنصلية البريطانية في البصرة نعمو عبو .(12)

ومهما يكن من الامر فقد جاءت الاوامر في الوقت الذي كانت فيه الحملة قدهيات نفسها بالفعل للزحف بعد استقرارها في البحرين منذ الثالث من تشرين الاول .(13) اصدر (برسي كوكس Percy Cox) (14) الضابط السياسي المرافق للقوات البريطانية يوم 3 تشرين الثاني 1914 بيانا زعم فيه ان حكومتة قد اجبرت على الحرب نظرا للموقف المعادي من العثمانيين لذا ارسلت بريطانيا قواتها لحماية تجارتها واصدقائها واجلاء العثمانيين من المنطقة وان لا عداء لها مع العرب شريطة ان لا يحموا القوات العثمانية ولا يحموا السلاح .(15)

يبدو ان كوكس كان يريد تجريد السكان المحليين من وسائل الدفاع عن انفسهم في ظرف غابت فيه السلطة المحلية الحامية وبذلك يسهل على جيشه الغازي التوغل بسهولة ومن دون مقاومة تذكر .وهي حالة طبيعية لاي غاز او محتل وهي نوع من المراوغة السياسية .

وتحقيقا للهدف المنشود تحركت القوات البريطانية من البحرين الى سد الفاو ، فوصلته في مساء 3 تشرين الثاني ،اي قبل اعلان الدولة العثمانية الحرب بيومين ، وفي الخامس من الشهر

نفسه تقدمت السفن الى داخل السد وفي فجر اليوم الثاني اى 6 تشرين الثاني الى الفاو ، حيث اشتبكت مع القوات العثمانية المنتشرة هناك وبالرغم من المقاومة العثمانية المحدودة استطاعت اسكات المدافع وبدأت القوات المحتلة الانزال عند الضحى بالقرب من محطة البرق .⁽¹⁶⁾ ولم تستغرق عملية النزول اكثر من ساعة واحدة ، انجز فيها احتلال الفاو يوم السادس من تشرين الثاني 1914 .⁽¹⁷⁾

كان مجموع القوات البريطانية التي احتلت الفاو هي (4558) جنديا و(173) ضابطا و(12) مدفعا .اما القوات العثمانية الموجودة في البصرة يوم اعلان الحرب لايتجاوز افرادها ثلاث الاف مقاتل .⁽¹⁸⁾

ففي الوقت الذي كان الجانب البريطاني قد استعد للاحتلال البصرة ،كانت القيادة العثمانية ترسل القوات المتيسرة لديها نحو الجبهة مع روسيا ولم تعط البصرة اهمية تذكر في خططها الحربية ، اذ انها اعتبرت العراق كله ساحة حرب من الدرجة الثالثة ، يمكن الدفاع عنه بقوات الدرك وحرس الحدود مع من ينظم لهم من القبائل . وكان اغلب اولئك الجند في حالة مادية سيئة جدا مما سبب استياءهم الشديد . لذا حدثت في صفوفهم (600) حالة هروب منذ اعلان التعبئة العامة⁽¹⁹⁾

مما سبق يتضح لنا ان الدولة العثمانية اهملت امر الدفاع عن العراق وجردته من القوات النظامية ما عدى فرقة البصرة ، وكان اعتمادها بشكل كبير على المتطوعين من اهل المدينة . وهذا هو دين المحتل دائما ما يتخلى عن اهل المدينة في اوقات الشدائد .

اما السلطات العثمانية في البصرة فلم يصل لها خبر احتلال الفاو الا في اليوم التالي من الموظفين الذين غادروا المنطقة الى البصرة وذلك لان القوات البريطانية قامت بقطع اسلاك التلغراف التي تربط الفاو بالبصرة⁽²⁰⁾

ثانيا / معركة السببة .⁽²¹⁾

بعد ان انجز احتلال الفاو من القوات البريطانية وضعت خطة بالتقدم الى البصرة. وكانت الخطة على محورين احدهما بري ، والثاني مائي من خلال شط العرب .

ترك قائد الحملة البريطانية فصيل من الجنود في الفاو وقاد جنوده برية مسافة (45كم) شمالا وكان الهدف هو حماية مصفى نبط عبادان ، فلما وصل الى المكان ، وجد ان الزورق الانكليزي سبيكل قائما على حراسة المصفى ،اثناء ذلك نزلت القوات البريطانية الى الاراضي المقابلة للمصفى ،وهي منطقة السببة وتحصنوا فيها .⁽²²⁾ من دون اي مقاومة تذكر وذلك يوم 11 تشرين الثاني 1914⁽²³⁾ .

وعند وصول الاخبار الى السلطات العثمانية في البصرة ، قامت بأرسال قائد الفرقة (38العسكرية) مع ثلاث افواج مع بطرية مدفعية لمهاجمة البريطانيين الذين كانوا قد اكملوا انزالهم في السببة ،وكانوا على استعداد لمواجهة القوات العثمانية من خلال المعلومات التي حصلوا عليها من حليفهم امير المحمرة الشيخ خزعل بن جابرمن مردو⁽²⁴⁾ .

وفي السياق ذاته فأن بريطانيا نجحت في استمالة الشيخ خزعل الى جانبها من خلال الوعود التي وعدته بها ، وكذلك اعطاؤه (3000) بندقية من نوع مارتيني-هنري ومليون طلقة ذخيرة

حربية واكدت له ان الغاية المتوخاة من دخول القوات البريطانية فتح شط العرب للتجارة الدولية بين بلاده والخارج ، وان هدف الحرب هو القضاء على النفوذ العثماني وتحرير العرب .⁽²⁵⁾

وعودا لما سبق ذكره ففي ليلة 10-11 تشرين الثاني شنت القوات العثمانية ومن معهم من المتطوعين من ابناء العشائر الذين وزعت على بعضهم البنادق هجوما على موقع الجيش البريطاني الا ان البريطانيين صدوه وانتصروا بعد انسحاب القوات العثمانية الى منطقة سيحان ، وقد تكبدت خسائر بلغت (37 قتيلًا) (22 جريحًا) فضلا عن مقتل قائد الهجوم العثماني الضابط تحسين افندي ، بالوقت الذي لم تتجاوز فية خسائر القوات البريطانية في المعركة سوى مقتل خمسة جنود مع ضابطين واصابة ضابط واحد بجروح .⁽²⁶⁾

ومن الجدير بالذكر ان حركة القوات العثمانية في التصدي للقوات البريطانية كانت غير مدروسة ، وملئة بالاحطاء في شكل التقدم او في التعبئة والتحصين ، ولم تقدم الاستخبارات العثمانية اي معلومات تذكر لقائد القوة عن الموقع البريطاني ولم تكن لديها خريطة عن المنطقة . وقصارى القول ان القيادة العثمانية اعتمدت على الارتجالية من دون التخطيط والحسابات العسكرية ، علما انها تقاتل على ارضها . بالوقت الذي كانت الخطط العسكرية والامدادات البريطانية من الهند مكنتهم من دحر عدوهم في الفاو والسيبة⁽²⁷⁾ .

ثالثا/معركة سيحان :

بعد هزيمة القوات العثمانية في السيبة يوم 11 تشرين الثاني انسحبوا الى قرية سيحان .⁽²⁸⁾

التي تقع شمال السيبة بحوالي سبعة كيلو متر . وفي الوقت ذاته وصلت الى السيبة يوم 14 تشرين الثاني سبع عشرة باخرة بريطانية محملة بالجنود وبذلك تكونت فرقة عسكرية كاملة . و جاء مع البواخر قائد اعلى رتبة من ديلامين ن وهو الجنرال (ارثر باريت A. Arnold Barrett

(قائد الفرقة السادسة في الجيش البريطاني ،فاصبح ديلامين تحت امرته ، وبمجرد استلام
الايخبر القيادة حتى وصلته برقية من حكومة الهند تنص على ((ليكن هدفك البصرة، فإذا رأيت
بعد تبادل الرأي مع ديلامين ، واذا كانت القوة التي لديك كافية فعليك بالتوجه اليها))⁽²⁹⁾.
ومن جانب اخر اقترح وكيل والي البصرة العثماني العقيد صبحي بيك الذي كان قائد
الجيش في المدينة على الشيخ خزعل السماح لقوة كبيرة من الجنود العثمانيين منتكرين في
التمركز فوق سطوح المنازل على جانبي نهر الكارون ليقوموا بتغطية ومساندة هجوم مدافعي
يخطط لشنه الجيش العثماني في جزيرة (دبا،وام الرصاص) على السفينة الحربية البريطانية
سبيلج التي كانت راسية في نهر الكارون ، ولكن الشيخ خزعل رفض هذا الاقتراح⁽³⁰⁾.

يبدو ان الشيخ خزعل قد اوصل تلك المعلومات الى الجنرال باريت قائد القوات البريطانية
الذي وصل يوم 14 تشرين الثاني الى السبية وقد وصلت معلومات استخبارية الى القائد
البريطاني ، ان العثمانيين يتمركزون في قرية سيحان فأصدر القائد اوامره الى الجنرال ديلامين
بمهاجمتهم ، وكان العثمانيون قرابة ثلاثة الاف رجل ثلثهم من متطوعي العشائر ، وقد احتلوا
موقعا عند غابات النخيل التي تمتد على ضفاف شط العرب . فهاجمت القوات البريطانية القوات
العثمانية ، واشترك الزورقان الحريان بالقتال من جهة الشط مما ادى الى تقهقر العثمانيون بعد
قتال شديد على طول الخط . وفي 17 تشرين الثاني 1914 زحفت القوات البريطانية كلها الى
قرية سيحان ، فوجدوها خالية من القوات العثمانية .⁽³¹⁾

مما لاشك فيه ان معركة سيحان لم تكن معركة بسيطة ، فقد استمرت يومين الى ثلاثة ايام
(15-17) تشرين الثاني واشتد القتال في الساعات الثلاثة الاخيرة ، فتكبد العثمانيون خسائر

بشرية وصلت الى حوالي (250) شخص منهم خمسين قتيلا ما يفوق المائة جريح واكثر من خمسة وعشرين اسيرا ورشاشين ، وتكبد البريطانيون ستين مقاتلا بين جريح وقتيل⁽³²⁾.

يبدو ان مراهنات البريطانيين على اثاره النعرات والفتن المذهبية والدينية والطائفية قد فشلت . اذ قاتل العراقيون الى جانب العثمانيين المسلمين من كل الطوائف والقوميات قتال رجل واحد دفاعا عن وطنهم ومصالحهم المشروعة وانها المرة الاولى منذ قرون عديدة تظهر فيها الوطنية العراقية بهذا المستوى من القوة والشموخ والعمق وتتحول الى سلاح واحد بوجه المحتل في ميزان المعركة وذلك دفع المقاتلين من اهل المنطقة لبناء مواضع دفاعية في سيحان ساعدتهم في مقاومة المحتل البريطاني .

وفي السياق ذاته لجأت السلطات العثمانية الى حشد القبائل ، ورجال الدين السنة والشيعة للمساعدة في طرد القوات البريطانية ، والتصدي لها. من خلال اصدار الفتاوى ، بأعلان الجهاد ، وكان مهمة الحصول على تلك الفتاوى من علماء الشيعة ذوى التأثير على العشائر الجنوبية في ولاية البصرة اكثر اهمية وصعوبة ، كون الشيعة لا يعترفون بخلافة العثمانيين . وقد استعانت الدولة العثمانية من اجل هذا الغرض ببعض النواب الشيعة في مجلس المبعوثان العثماني . في الوقت ذاته بذل البريطانيون جهودا مضادة للتأثير على افكار ومواقف اولئك العلماء الشيعة⁽³³⁾.

وفقا لما تقدم اصدر بعض مجتهدوا النجف الاشرف وهم كل من السيد حسين الحائري والسيد مصطفى كاشفي والسيد على الرفيشي وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد محمد كاظم الطباطبائي والسيد على البريزي والسيد اسماعيل الصدر والسيد محمد سعيد الحبوبي ، بيانا اعلنوا فيه وجوب الدفاع عن بيضة الدين ووجوب الجهاد الى صف الدولة العثمانية⁽³⁴⁾.

ومن جانبها آخر قيام عميد اسرة ال باش اعيان وهو الشيخ عبد الله الى اعلان الجهاد ضد القوات البريطانية وكذلك قيام نجل الشيخ عبد الله ضياء الدين الأكبر الشيخ عبد الواحد صفاء الدين بتكوين جيش من اتباعه وفلاحيه لمواجهة الجيش البريطاني .وبعد سجلات طويلة بين باريت والشيخ عبد الواحد ،طلب الأخير من باريت ان لا يدخل المناطق السكنية الالهة بالشيوخ والنساء والأطفال .(35)

وفي السياق ذاته يبرر المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي برسي كوكس المرافق للقوات البريطانية ان التحرك العسكري البريطاني موجه ضد المحتلين العثمانيين ، وتعهد بالحفاظ على المدن والاماكن المقدسة في العراق وذلك في الاول من تشرين الثاني 1914 اي في الايام الاولى للحملة (35).

رابعاً/ معركة كوت الزين (36)

ان سياسة الدولة العثمانية العنصرية والطائفية التي اتخذتها طيلة القرون الاربعة التي حكمت فيها العراق وما رافقها من بطش وارهاب وتخلف . تلك السياسة التي ادت الى تفرقة وتقسيم المجتمع العراقي وزرع حالة من الحقد عند المجتمع من الدولة العثمانية .تلك الحال ساعدت بما لايقبل الشك القوات البريطانية المحتلة في تحقيق اهدافها .

وخلافا لما تقدم فقد جاءت فتوى الجهاد التي صدرت من رجال الدين من مختلف المذاهب في العراق بتحقيق حالة من الوحدة والتأزر والتلاحم والشعور الوطني بين ابناء المجتمع .فقد هب وجهاء المجتمع الى الدفاع عنه ومنهم الشيخ عجمي السعدون (37). اذ كان يوم 16-17 تشرين

الثاني /1914 يقود مئتين وخمسين من رجاله ويحوم بهم ميدان المعركة .⁽³⁸⁾ اذ بلغ مجموع

ابناء العشائر ما يقارب الثلث من مجموع القوات العثمانية البالغة ثلاثة الاف مقاتل .⁽³⁹⁾

وبعد تراجع القوات العثمانية في معركة سيحان ،قامت بحفر خنادق لها في كوت الزين في

قرية تسمى سهل ⁽⁴⁰⁾ وطلب منهم قائد القوة العثمانية بأن يدافعوا عن خنادقهم حتى النفس

الاخير وان من يترك خندقه سوف يندم .⁽⁴¹⁾

وفي 17 تشرين الثاني 1914 هاجمت القوات البريطانية بلوائين ((16-18)) الجيش

العثماني في كوت الزين ودارت معركة شرسة بين الجانبين . وكان للمجاهدين من ابناء العشائر

دور فعال وبسبب عدم تكافؤ القوى بين الجانبين من ناحية العدد والعدة مالت الكفة باتجاه القوات

البريطانية .⁽⁴²⁾

وقد وصف احد المقاتلين في مذكراته يقول ((وقد نشب القتال وتكبد الانكليز خسائر فادحة

لانهم كانوا يتقدمون في العراء مكشوفين على شكل قدمات تتلو بعضها بعضا ، وكانت كل قدمة

منهم تتبطح وتطلق الرصاص ، بينما كانت القدمة التي ورائها تتقدم الى الامام وعند

وصول الزحف الانكليزي على بعد ثلاثمائة متر منا ، كان العتاد لدينا قد نفذ واصدر عادل بيك

امره الينا بالقتال بالسلاح الابيض ، وعند خروجنا من خنادقنا كنا عرضة لنيران العدو فهلك كثير

منا واخذ الباقي اسرى من العدو . وكان من بين الاسرى قائدنا عادل بيك الذي قاتل حتى نفذ

عتادة ،وانا))⁽⁴³⁾

وهنا لابد من القول ان القوات البريطانية استطاعت الاطاحة بالقوات العثمانية وقطع خط

الامدادات والانسحاب عليها فتراجعوا باتجاه بساتين النخيل للاحتماء بها ، فصلتهم نيران

الاسطول البريطاني المرابط في شط العرب .⁽⁴⁴⁾ مما جعلهم يقاتلون قتالا شديدا بفعل روح

الحماس العقائديه والدوافع الوطنييه ،حتى وصف لنا احد سكان المنطقه ان والده شاهد بعض
جثث القتلى من الجانب العثماني وقد كانت احد ارجلهم مثبتة ومربوطه بحبل ، وذلك لكي يمنع
نفسه من التراجع في حال اشتد القتال ، وقد آل على نفسه اما النصر او الشهادة . (45)

واستدلالاته بالمثمل القائل (الحق بما شهدت به الاعداء) فقد ذكر المراسل الحربي المرافق
للجيش البريطاني(ادموند كاندler Edmund Eadler)((كانت معركة الساحل) ويقصد كوت
الزين وسهل) تحمل في طياتها دلائل بارزه ، لان الاتراك كانوا في موقف قوي بعد ان اتحدوا
قوة كبيرة تقدر بخمسة الاف رجل واثني عشر مدفعا لمواجهة قواتنا التي شنت هجوم بلوائين
وبطارياتي ميدان جبليتين وسريتين من سلاح الفرسان وسريتي ازالة الالغام. ولمواجهة الزخم الشديد
للمعركة اصدر اللواء ديلايين امرا بالتصدي للعدو بينما اشتبك اللواء الثامن عشر باستبسال مع
قوات العدو مما اضطر القائد الى اطلاق النار على طول الجبهة من اجل بعثرة قوات
العدو التي قاتلت ظهر اليوم . واننا واجهنا صعوبه بسبب وعوره الارض والاعاقات الكثيره للعدو
((.(46)

وليس ببعيد عن ذلك ،فان انتصار البريطانيين في هذه المعركة الشرسه والتي استبسال بها
اهل البصره في الدفاع عن مدينتهم . (47) فان خيانه الشيخ خزعل كان لها الفضل في تراجع كفه
البريطانيين في المعركة فبعد يومين من القتال الشديد وتواصل الليل بالنهار اي في يوم 18
تشرين الثاني 1914 تبلمت القوات البريطانيه من الشيخ خزعل . ان العثمانيين قد بدأوا باعاده
تجمعهم في اعالي النهر (اي نهر الكارون وتحديدا في المحمره) ليجعلوا منه موضع دفاعهم
الرئيس وانهم اغرقوا ثلاث سفن لسد مجرى النهر في القسم الاسفل من شط العرب . وعلى
ضوء تلك المعلومات قامت البارجه الحربيه البريطانيه سبيلك يوم 19 /تشرين الثاني 1914

بقصف الموضع المذكور بالقنابل وكذلك ضرب السفينة الحربية العثمانية مرميس في اليوم التالي . (48)

لقد اثبتت معارك ساحل البصرة ، وخصوصا معركة كوت الزين ان العراقيين يمتلكون طاقات غير اعتيادية ويريدون التعبير عنها عبر المسالك الصحيحة ، تعبيرا صادقا وعميقا . ولكن عدم ثقتهم بالحكام العثمانيين كانت هي العامل الرئيس المثبط لهم . وبالتالي فهو العامل نفسه الذي كان السبب الرئيس في فشل العثمانيين في مواجهة البريطانيين . اذ ان فساد الحكام هو ما يهبط الروح الوطنية عند شعبة ، وعلينا ان نعي ذلك دائما .

ولللاستدلال التاريخي على ماتقدم ، نرى الرموز الوطنية التي اشتركت في معركة كوت الزين ، وقد استشهد البعض منهم دفاعا عن وطنه وليس عن الدولة العثمانية ، اذ بلغ عدد الشهداء في هذه المعركة (220 شهيدا) من عشيرة الصيامر (49) . واستشهد الشيخ شلال مع مجموعة من افراد عشيرته اذ كان العدد الذي يرافقه من ابنائها من الشرش يبلغ بضعة الاف (50). اما خسائر القوات العثمانية فقد بلغت (150 قتيل) ونحو (400 جريح) وكانت خسائر البريطانيين (54 قتيل) و(435 جريحا) (51)، وكذلك هناك عدد غير محدد من الاسرى العرب والعثمانيين احتجزوا في احدى البواخر البريطانية لمدة عشرون يوما ، نقلوا بعدها الى الهند. (52)

وبعد خسارة العثمانيين معارك الساحل الاربعة اصبح الطريق مؤهلا الى البصرة . اذ ان معركة كوت الزين هي التي قررت مصير البصرة . فلم يعد للعثمانيين قوة تذكر ، هذا من جانب ومن جانب اخر فان القوات البريطانية حققت هدفها الاستراتيجي ، وهو حماية حقول النفط في عربستان ومصفى نفط عبادان .

الخاتمة :

لقد سعت بريطانيا بشكل حثيث ومن خلال الحرب الى تمزيق التحالف العثماني - الألماني ومنع المانيا من الوصول الى مبتغاها الا وهو السيطرة على العراق ،لمايتمع بع الأخير من موقع استراتيجي مهم بالنسبة للمصالح البريطانية .

اثبتت الدراسة ان هذه المعارك هي المفتاح الاساس لاحتلال العراق من جانب ومن جانباً اخر ان هدف البريطانيين الرئيسي من خوض معارك ساحل البصرة هو تأمين حقول النفط الفارسية ومصافي نطف عبادان الواقع مقابل منطقة السيبة مباشرة . وان أهمية تلك المعارك تمثلت بأنها اول اصطدام بين القوات البريطانية المتطورة والقوات العثمانية التي تكاد تكون من جيوش العصور الوسطى .

كذلك اثبتت ان اسلوب الخداع والكذب والشدة والفساد التي اتبعها الولاة العثمانيين هي لا تبني دولة حقيقية اذ ان الشعب يفقد ثقته بقيادته ويشعر بها غريبة عنه . ومن جانب اخر تبين ان الشعب الذي خضع للسيطرة العثمانية لمدة اربعة قرون ، مازال حيا ،فبمجرد نداء وطني من الرجال الذين يثق بهم الناس هبت جموعة للدفاع عن ارض الوطن بوجه المحتل الاجنبي .

الهوامش

(1) فراس ابراهيم حميد التميمي ، الملاحه في الانهر العراقية وموقف القبائل العراقية العربية منها 1869-1914 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2015 ، ص14.

- (2) خالد حمود السعدون ، الاوضاع القبلية في ولاية البصرة خلال الحكم العثماني الاخير والاحتلال البريطاني 1908-1918م،بيروت،2006،ص312 .
- (3) ايناس سعدي عبد الله ، تأريخ العراق الحديث 1258-1918،بغداد،2014،ص584 .
- (4) بيير رونفون ،تأريخ القرن العشرين ،ترجمة نور الدين حاطوم ،لبنان،1965،ص36.
- (5) عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعنعي ،تأريخ المعاصر اوربا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ، بيروت ،1973،ص443 .
- (6) رياض الصمد ، العلاقات الدولية في القرن العشرين ،ج1، بيروت،1938 ، 33.
- (7) نوار ونعنعي ، المصدر السابق، ص444.
- (8) رياض الصمد ،المصدر السابق، ص35.
- (9) كاظم حبيب ، لمحات من تأريخ القرن العشرين - بداية الاحتلال البريطاني للعراق ونهاية الانتداب (1914-1932)، ج 3 ،اريل،2013 ،ص11.
- (10) ادموند كاندلر ، احتلال العراق مشاهدات مراسل حربي مرافق للجيش البريطاني 1917 ،ترجمة محمد حسن علاوي وخضير علي سويد، بيروت ،2017،ص21.
- (11) ايناس سعدي ، المصدر السابق،ص585.
- (12) حميد احمد حمدان ،البصرة في الحرب العالمية الاولى 1914-1918،موسوعة البصرة التاريخية ، جامعة البصرة ،المركز الثقافي ،1993،ص349.
- (13) خالد السعدون، المصدر السابق،ص313.
- (14)بييرسي كوكس (1864-1937)،ولد في الثاني عشر من تشرين الثاني 1864 ، وتخرج من كلية ساندهيرست العسكرية ، عمل في مناصب إدارية وعسكرية عده في الهند وافريقيا ، قدم مع الحملة البريطانية

على العراق ، شغل منصب اول معتمد سامي في العراق خلال المدة (1920-1923) وقد ساهم في رسم السياسة البريطانية في الوطن العربي بعد انهيار الدولة العثمانية ، وشغل منصب المقيم السياسي في الخليج العربي .المزيد ينظر : منتهى عذاب ذويب ، بيرسي كوكس ودوره في السياسة العراقية 1864-1923 ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب ، جامعة بغداد ،1994.

(15) ايناس سعدي ، المصدر السابق،ص588 .

(16) حميد احمد حمدان التميمي ، الاهتمام البريطاني المبكر بالبصرة ، موسوعة البصرة -القسم التاريخي ، جامعة البصرة ، العدد الاول ، البصرة، 2013، ص226.

(17) عبد الرزاق الحسني ، تأريخ العراق السياسي الحديث، ج1 ،بيروت ، 2008 ، ص65.

(18) عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، بيروت، 1935، ص10.

(19) خالد السعدون، المصدر السابق،ص314.

(20) حسين هادي الشلاه، طالب باشا النقب البصري ودوره في تأريخ العراق السياسي الحديث ، بيروت،2002،ص371.

(21) السببة : وهي تقع جنوب ابو الخصيب وتبعد عن مركز البصرة بمسافة 65 كم ، بالتحديد مقابل مصفى نبط عبادان الايراني ، وتعد من املاك السلطان عبد الحميد الخاصة .منصور الحاج سالم السالم ، ابو الخصيب وشط العرب ذكريات تاريخية -اجتماعية - ادبية ، بغداد، 2012،ص31 .

(22) عبد الرزاق الحسني،العراق في دوري ،ص11.

(23)حميد حمدان ، الاهتمام البريطاني ، ص227.

(24) حسن موات حسين الفرطوسي، موقف عشائر جنوب العراق من الاحتلال البريطاني للعراق 1914-1918، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2017، ص76.

(25) انعام مهدي علي السلطان ، حكم الشيخ خزعل في الاحواز 1897-1925،بغداد،1985،ص92-93.

(26) حسن الفرطوسي، المصدر السابق، ص76.

(27) ايناس سعدي، المصدر السابق، ص589.

(28) سيحان: هي قرية خالية من العمران التام ويملكها عبد الله بن عيسى بن ابراهيم ، وهو احد التجار ومن اشهر انهارها نهر الخور هو نهر الكوت . المصدر السابق، منصور الحاج سالم ، 33. وسميت سيحان لانها منخفضة بمستوى الساحل وبساتينها تسقى سيحا . وتتميز بخصوبة ارضها وكثافة نخيلها وعذوبة مائها وفيها عدد من المقامات الدينية للطائفة الشيعية . مقابلة مع الشيخ عبد الحسن محمد سلطان الشهران المعروفي ، موليد 1967، احد سكنة المنطقة ، اجريت المقابلة بتاريخ 2 اذار 2020 .

(29) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ، ج4، المجلد الثاني ، قم، 2005، ص135.

(30) احمد باش اعيان ، موسوعة تأريخ البصرة، لندن، ج3 ، 2019 ، ص971.

(31) محمد طاهر العمري الموصللي ، تأريخ مقدرات العراق السياسية، بيروت ، المجاد الاول، 1925، ص90،

(32) الحسني، العراق في دوري، ص12.

(33) انعام السلطان ، المصدر السابق، ص91.

(34) احمد باش اعيان، المصدر السابق، ص973.

(35) احمد باش اعيان ، برهان الدين باش اعيان حياته وعصره ، دار الساقى ، 2017 ، ص187.

(35) حميد احمد حمدان ، البصرة في الحرب العالمية ، المصدر السابق، ص352.

(36) كوت الزين: قرية تمتد لمسافة ميل واحد ، وهي مواجهة لجزيرة ام الرصاص يتجاوز عدد سكانها الف نسمة ، من املاك الشيخ خزعل . وعرفت بهذا الاسم نسبة الى رجل يسكنها يقال انه حسن الصورة وذو جمال باهر ، ومن خيرة رجال العرب . اتى من البادية ، سميت نسبتا اليه وسكنها جماعة من الفلاحين ومنهم بيت الحاج علي القيم سدنة ظريخ مير ابو الحسين . عبد القادر باش اعيان العباسي ، موسوعة تأريخ البصرة - خطط البصرة ،

ج1 ،بغداد ،بدون تأريخ ، ص221. وفيها الان مدرستان ومستوصف ومركز شرطة واغلب سكانها من عشيرة ابو معرف وبيت كنعان . علما ان الباحث من سكنتها في سبعينيات القرن المنصرم .

(37) وهو عجمي ابن منصور بن راشد بن ناصر بن سعدون مؤسس امانة المنتفق التي حكمت اكثر من اربعمائة سنة ، ويرجع نسبها الى اسرة الاشراف العلويين في الحجاز . نور حسن خلف العتابي ، عجمي السعدون ودوره في تأريخ العراق (1911-1918)، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، 26، 2015.

(38) غيرترود بل، فصول من تأريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت، 2010، ص4.

(39) نور العتابي ، المصدر السابق، ص128.

(40) سهل قرية صغيرة يسكنها الفلاحون وتعود الى الشيخ خزعل امير المحمرة . وفيها مقام ينسب الى سهل ابن عبد الله التستري ، والبعض يراه سهل بن الفضل ، احد قادة جيش الامام علي عليه السلام .منصور الحاج سالم ،المصدر السابق ،ص30. ويقول احد سكنة المنطقة ان هناك اثار خيمة لاتزال تتشاهد هناك في فصل الشتاء عند نزول المطر وكذلك توجد بعض الكتل الصخرية التي استخدمتها القوات في الحرب ، وترتبط تلك الكتل بحكاية سراق مرقد السيد صالح بن علي في التراث الشعبي لسكان المنطقة ، وهناك قصر يعود الى الشيخ جراح الصباح من امراء الكويت يقع على ضفاف شط العرب . مقابلة مع الحاج عامر سبيتي مجيد المنصور مواليد 1953 ، اجريت المقابلة بتاريخ 15حزيران 2018، في دار الواقعة في منطقة القبلة في البصرة .

(41) علي الوردى ، المصدر السابق ،ص137.

(42) حسن الفرطوسي، المصدر السابق ،ص78.

(43) مذكرات محمد رؤوف السيد طه الشيلخي ، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها ، ج1، البصرة ، 1972. ص38.

(44) عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري، المصدر السابق ،ص12.

(45) مقابلة مع الحاج ثاني مجيد المنصور ، مواليد 1929، اجريت المقابلة بتاريخ 15 كانون الاول 2019، في دارة الواقعة في قضاء ابي الخصيب ، قرية ابو كوسرة .

46) كاندلر، المصدر السابق، ص22.

47) لقد تجمع اهل الزبير من اجل مواجهة المحتل البريطاني ، وشارك عدد كبير من الشباب ، بقيادة الشيخ محمد الامير الشنقيطي ، في معارك سيحان وكوت الزين . احمد باش اعيان ، المصدر السابق ،ص979.

48) المصدر نفسة ،ص979 .

49) حسن الفرطوسي ، المصدر السابق ،ص78.

50) عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، بيروت ،2011،ص330.

51) عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري ، المصدر السابق ،ص12.

52) محمد رؤوف الشихلي ، المصدر السابق ،ص139.

المصادر

أولاً/المذكرات الشخصية

مذكرات محمد رؤوف السيد طه الشихلي ، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها ، ج1، البصرة ،1972.

ثانياً /الرسائل والاطاريح الجامعية

1) حسن موات حسين الفرطوسي، موقف عشائر جنوب العراق من الاحتلال البريطاني للعراق 1914-1918، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2017.

2) فراس ابراهيم حميد التميمي ، الملاحه في الانهر العراقية وموقف القبائل العراقية العربية منها1869-1914 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2015 .

3) منتهى عذاب ذويب ، بيرسي كوكس ودوره في السياسة العراقية 1864-1923 ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب ، جامعة بغداد ،1994 .

4) نور حسن خلف العتابي ، عجمي السعدون ودوره في تأريخ العراق (1911-1918)، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات ،2015.

ثالثاً/الكتب العربية والمعربة

- 1) احمد باش اعيان ، موسوعة تأريخ البصرة، لندن، ج3، 2019 .
- 2) -----، برهان الدين باش اعيان حياته وعصره ،دار الساقى ،2017
- 3) ادموند كاندلر ، احتلال العراق مشاهدات مراسل حربي مرافق للجيش البريطاني 1917 ،ترجمة محمد حسن علاوي وخضير علي سويد، بيروت، 2017.
- 4) انعام مهدي علي السلطان ، حكم الشيخ خزعل في الاحواز 1897-1925،بغداد،1985 .
- 5) ايناس سعدي عبد الله ، تأريخ العراق الحديث 1258-1918،بغداد،2014 .
- 6) ببيرونونفون ،تأريخ القرن العشرين ،ترجمة نور الدين حاطوم ،لبنان،1965 .
- 7) حسين هادي الشلاه، طالب باشا النقب البصري ودوره في تأريخ العراق السياسي الحديث ، بيروت،2002 .
- 8) حميد احمد حمدان التميمي ، الاهتمام البريطاني المبكر بالبصرة ، موسوعة البصرة -القسم التاريخي ، جامعة البصرة ، العدد الاول ، البصرة، 2013 .
- 9) -----،البصرة في الحرب العالمية الاولى 1914-1918،موسوعة البصرة التاريخية ، جامعة البصرة ،المركز الثقافي،1993 .
- 10)خالد حمود السعدون ، الاوضاع القبلية في ولاية البصرة خلال الحكم العثماني الاخير والاحتلال البريطاني 1908-1918م،بيروت،2006.
- 11) رياض الصمد ، العلاقات الدولية في القرن العشرين ،ج1، بيروت،1938 .
- 12) عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، بيروت ، 2011 .
- 13) عبد الرزاق الحسني ، تأريخ العراق السياسي الحديث، ج1 ،بيروت ، 2008.
- 14) -----، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، بيروت، 1935 .

- 15) عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعنعي، تأريخ المعاصر اوريا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ، بيروت، 1973 .
- 16) عبد القادر باش اعيان العباسي ، موسوعة تأريخ البصرة - خطط البصرة ، ج 1 ، بغداد، بدون تأريخ .
- 17) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ، ج4،المجلد الثاني ، قم، 2005 .
- 18) غيرتروود بل، فصول من تأريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت، 2010 .
- 19) كاظم حبيب ، لمحات من تأريخ القرن العشرين - بداية الاحتلال البريطاني للعراق ونهاية الانتداب (1914-1932)، ج 3 ، اربيل، 2013.
- 20) محمد ظاهر العمري الموصللي ، تأريخ مقدرات العراق السياسية،بيروت ، المجاد الاول ، 1925.
- 21) منصور الحاج سالم السالم ، ابو الخصيب وشط العرب ذكريات تأريخية -اجتماعية - ادبية ، بغداد، 2012 .

رابعاً /المقابلات

- 1) مقابلة مع الحاج ثاني مجيد المنصور ، مواليد 1929، اجريت المقابلة بتاريخ 15 كانون الاول 2019، في دار الواقعة في قضاء ابي الخصيب ، قرية ابو كوسرة .
- 2) مقابلة مع الحاج عامر سبيتي مجيد المنصور مواليد 1953 ، اجريت المقابلة بتاريخ 15 حزيران 2018، في دار الواقعة في منطقة القبلة في البصرة .
- 3) الشيخ عبد الحسن محمد سلطان الشهران المعروف اي ، مواليد 1967، اجريت المقابلة بتاريخ 2 اذار 2020 في داره في البصرة منطقة القبلة .